



خارطة الطريق في طلب علم التفسير

تأليف

زهران عمر زهران

خارطة الطريق في طلب علم التفسير

يقول القرطبي

"فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشرع، الذي استقل بالسنة والفرض،
ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه منّي"

إعداد

د. زهران عمر زهران

فلسطين

2025م

اسم الكتاب: خارطة الطريق في طلب علم التفسير

اسم المؤلف: زهران عمر زهران

سنة الطباعة: 2025 م / 1446 هـ

عدد الصفحات: 59

التدقيق اللغوي:

التنسيق الفني: عدنان قلعه جي

الرقم الدولي للكتاب (ISBN):



رعاة الكتاب



المحفل العلمي الدولي
www.almahfal.org



منصة أريد العلمية
www.arid.my



جامعة أريد الدولية
university.arid.my



أكاديمية أريد لعلوم الفضاء
falak.arid.my



وقف الذكاء الاصطناعي
www.waqf.ai



القرية العلمية
sci-village.com



أبصر فايزر للمبتعثات الافتراضية
www.abservisior.com



منصة الفاتحة
www.fatiha.id



منصة أبناء العلماء
sos.arid.my



منصة قادرة
www.qadirah.com



أبصر للتعليم الإلكتروني
www.abser.org



بوابت فلسبي للدفع الإلكتروني
www.filspay.com

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، أول من فسّر القرآن الكريم، فأناز به دروب الحق للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها مكانة بين العلوم، وتحصيل هذا العلم، وتدبر آيات القرآن الكريم، واستنباط كنوزه وأسراره، من أسى الغايات وأجل المهمات، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

ومما لا شك فيه أنّ من يريد التصدي لهذه المهمة الكبيرة، وأن يجعل من نفسه مفسراً للقرآن الكريم، لا بدّ له أن يشمّر عن ساعديه، ويشدّ مئزره، وأن يحرق سفن الراحة والخمول والكسل، وأن يشعل وقود الإرادة والتحدي والتصميم.

وانطلاقاً من الشعور بأهمية هذا الموضوع، ومن أجل توضيح معالم الطريق في السير نحو الهدف المنشود، جاءت هذه الدراسة التي يقدمها لنا الباحث الدكتور زهران زهران حول (خارطة الطريق في طلب علم التفسير)، وهي دراسة قيّمة، تقدّم رؤية واضحة حول هذا الموضوع.

وقد اطلعت على هذه الدراسة المختصرة فوجدتُ فيها جهداً مشكوراً، وإرشادات مهمة، وخارطة طريق واضحة، لمن أراد السير في تحصيل علم التفسير، وهي تستعرض مراحل صناعة المفسر، من خلال تتبع المسار العلمي

الذي يجب أن يسلكه المتعلم ليصل إلى مرحلة الفهم العميق والتفسير الصحيح لكلام الله تعالى. وتتناول هذه الدراسة الخطوات التي يبدأ بها طالب علم التفسير من أولى مراحل الطلب، وصولاً إلى مرحلة الإمام العميق بالتفسير.

كما وجدتُ أن هذه الدراسة تسعى لبناء خطة علمية دقيقة، موجهة للطلاب والباحثين في مجال التفسير، تساعد على تحديد المسار الصحيح والكتب التي تؤهلهم ليصبحوا مفسرين مؤهلين. ففي كل مرحلة، تعرض الكتب الأكثر أهمية وتأثيراً، مع توجيه النصائح حول كيفية قراءة هذه الكتب وفهمها. كل ذلك بهدف تقديم رؤية منهجية تساعد في إعداد جيل من المفسرين القادرين على تفسير القرآن وفق ما يقتضيه النقل والعقل.

وفي ثنايا هذه الدراسة معلومات مفيدة وإضافات معرفية فريدة لكل من يطلع عليها. ودعواتي للكاتب بأن يوفقه الله في الدنيا والآخرة، وأن ينفع بكتابه كل من ينظر فيه.

وبالله التوفيق

أ.د. عودة عبد الله

رئيس قسم أصول الدين

جامعة النجاح الوطنية

2/12/2024

الفهرس

4.....	تقديم
6.....	الفهرس
7.....	مقدمة
17.....	شراء الكتب
18.....	استمع لتجارب القراء المبدعين الثقات
21.....	كيف أبدأ القراءة؟
23.....	بماذا نبدأ؟
23.....	المرحلة التمهيديّة
27.....	المرحلة الأولى في طلب علم التفسير
32.....	المرحلة الثانية في طلب علم التفسير (الوسطى)
40.....	المرحلة الثالثة الأخيرة في طلب علم التفسير
49.....	المرحلة البحثية
51.....	فهرس الكتب المدرجة في الدراسة

مقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدّر فهدي، والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ولبّى نداء ربه حتى أجاب مناديه.

وبعد:

فيشتكي طلاب العلم عموماً، ومنهم طلاب العلم الشرعي من مشكلة التشتت عند الطلب، وعدم القدرة على ضبط التخصص، وإهدار الكثير من الوقت في غير فائدة. يقول ابن عاشور عن نفسه مع إبداعه في كتاباته في كتابه (أليس الصبح بقريب): "وإني على يقين أنني لو أتيت لي في فجر الشباب التشبّع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيراً من مواهب، ولاكتسبت جمّاً من المعرفة، ولسّلمت من التطوّح في طرائق، تبيّن لي بعد حين الارتدادُ عنها"⁽¹⁾.

ولعل علم التفسير من أهم هذه العلوم التي فقد التأسيس والتأصيل لها من خلال النّظام العام للتعليم، سواءً أكان التعليم المسجدي، أم التعليم المدرسي، أم التعليم الجامعي.

(1) ابن عاشور: أليس الصبح بقريب، ص 9.

يا طالب العلم لا بدّ أن تكون مشروعاً لأمتك ووطنك، ولا بدّ أن تبتدع في تخصص معين وألا تبقى تطوف حول العموميات، فالتخصص على تنوعه أمر إيجابي، وهو رأس الأمر كله وعين الخير. ولا نبالغ إن قلنا إنّ التخصص منهج نبويّ وسنة من سننه الظاهرة، فالتبّي ﷺ كان يوجه أصحابه نحو التخصص من أجل الوصول إلى الإبداع والتميز، ثمّ يحيل الناس عليهم لينهلوا من بركات علمهم. عند أحمد في مسنده من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "أزأف أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم عليّ، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيّ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإنّ لكلّ أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح". وعند مسلم في صحيحه: قال رسول الله ﷺ: "خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ قَيْدَاً بِهِ وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِيّ بْنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ".

إنّ طالب العلم في بداية الطلب يدخل بنهم كبيرٍ تشعر كأنّه يريد أن يأخذ كل ما في المكتبة الإسلامية وأن يضعه في رأسه. فتراه كلما سمع بكتاب اشتراه، وكلما استهواه عنوان آخر قرأه من غير أن يراعي في ذلك.

هل يمثل هذا الكتاب يبدأ، أم لا؟

وهل قرأ ما يفيد في طريق تخصصه، أم لا؟

وهل المنهج الصحيح أن يقرأ كل ما تقع عليه عينه؟

أم أنّ أمر اقتناء الكتب أصبح فقط لإرضاء النفس، فهو متعلق بالزينة والجمال فلا يصلح المجلس إلا بوجودها.

لذلك قررت بعد الاستعانة بالله تعالى، ورجاء توفيقه، أن أكتب صفحات أضع فيها تصورًا لطالب علم التفسير يهتدي به في سيره نحو التمكن من التخصص والوصول إلى التميز والإبداع الذي هو غاية من الغايات، فالمسلم لا يرضى بالدون.

البداية أيها المبارك

قد تدخل إلى بيت ويؤخذ بيدك إلى مكتبته،

تدخل فترى عددًا كبيرًا من الكتب ينشرح لها الصدر وتزيد نبضات القلب فرحًا وطربًا لهذا المشهد الرائع،

فتسأل صاحب هذه المكتبة كم أنجزت من هذه الكتب؟

وماذا تنصح لي في طريق الطلب؟

فتجده قد دخل بحرًا واسعًا تلاطمت أمواجه، ولم يستطع أن يثبت مركبه فيه ليتحصل على صيد ثمين من هذا الخير العميم،

وتجد أنّك في نهاية مجلس الحوار لم تفد منه شيئًا.

فتبحث عن شيخ آخر تفيد منه،

فيقال لك: اذهب إلى فلان وانهل من علمه وأدبه،

قبل أن تذهب إليه، تتخيل أنك سترى مكتبة تحوي أضعاف ما حوته
مكتبة الأول لما سمعت من ثناء على علمه وفضله،

فتدخل ودقات القلب تتعالى، كلما تقترب ترتقب أن ترى عجباً،

فإذ بك تدخل إلى غرفة متواضعة فيها كتب معدودات، لكنّ صاحبها
يملك منهجاً ظاهراً ورؤية ثاقبة، يعلم ما يحتاج إليه في طريقه وما هو
نافلة يستطيع الاستغناء عنها.

من هنا نبدأ..

ليست العبرة بعدد الكتب التي تحويها مكتبة بيتك،

وليست العبرة أيضاً بتنوع العناوين،

وليست العبرة بعدد الكتب التي تقرأها،

سمعنا من أشياخنا كلمات لا بدّ أن تبقى حاضرة في أذهاننا ونحن في
طريق الطلب: ليتنا علمنا من بداية الطريق كيف نبدأ الطلب،
واختصرنا كثيراً من الجهود!

يقول ابن الجوزي: "وقد رتبت العلماء من ذلك ما يستغني به الطالب عن التعب"⁽²⁾.

يا طالب العلم لقد سلكت طريقًا عظيمًا يبدأ بالمحابر والأقلام والأوراق، ويصل بك في منتهاه إن صدقت إلى جنّة عرضها السماوات والأرض. عند أحمد في مسنده، قال ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ وَفَضَلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلَ الْقَمَرَ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورثوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرثوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ".

وحسبك يا طالب العلم أن الله تعالى افتتح كتابه المبارك بـ (اقرأ)،

وأكثر فيه من كلمة (العلم) بمشتقاتها لتكون هي الكلمة الأكثر حضورًا في الكتاب المبارك بعد لفظ الجلالة (الله).

تخيل لم يطلب النبي ﷺ الزيادة من الله تعالى في شيء من أمور الدين أو الدنيا إلا من العلم (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)، يقول ابن القيم: "وكفى

(2) . ابن الجوزي: صيد الخاطر، ص184.

بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه"⁽³⁾، ويقول ابن عيينة:
"ولم يزل في زيادة حتى توفاه الله"⁽⁴⁾.

لن أحدثك عن عناية السلف بطلب العلم وصبرهم عليه لأنّ الحديث
عن هذا طويل، ولكنني من بداية الطريق أحيلك إلى كتابين يجعلان
صورة العلم عند السلف ومدى عنايتهم به واضحة أمام عينيك،
أقرأهما بهدوء ولو كررت القراءة لكل منها مرتين وثلاث كان خيراً
عظيماً، فالنبي ﷺ كان يحب الوتر في كل شؤونه، وكان من عادة السلف
إعادة المقروء مرات ومرات فما تكرر تقرر.

الكتاب الأول: قيمة الزمن عند العلماء/ عبد الفتاح أبو غدة.

والوقت أنفس ما عُنيتَ بحفظه : وأراه أسهل ما عليك يضيعُ

الكتاب الثاني: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم
والتحصيل/ عبد الفتاح أبو غدة.

يقول الإمام أحمد: "سمعت أن قلّ رجل يأخذ كتاباً ينظر فيه إلا
استفاد منه شيئاً"، ويقول ابن عطاء الله السكندري: "من لم تكن له
بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة".

(3) . ابن القيم: مفتاح دار السعادة (50/1).

(4) . ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (119/5).

بعد قراءة ما تقدم من الصفحات نستطيع أن نبدأ الرحلة مع طلب علم التفسير:

يا طالب العلم حتى لا تظن أن المهمة سهلة ويسيرة،

وأن طريق العلم مفروشة بالورود والأزهار،

أذكرك بأمر مهم حتى تعلم أن الأمر جدّ، وأن السير في هذا الطريق بحاجة إلى الصبر والمصابرة والتأني وطول النفس والمثابرة.

هل قرأت سورة التوبة؟

اقرأها وتأمل فيها!

مما تناولته هذه السورة الحديث عن الجهاد والمجاهدين،

وأيضًا الحديث عن النفاق والمنافقين،

فجأة وأنت تقرأ في السورة تأتيك آية بين آيات الجهاد:

(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) [سورة التوبة: 122].

تأمل الآية واقرأها بهدوء وعمق!

(نفر، فرقة، يتفقهوا، يندروا) كلها ألفاظ ثقيلة قوية متعلقة بالحرب والقتال.

لكتّها في حقيقتها موجهة لطلب العلم والحثّ عليه،

فأنت، نعم أنت يا طالب العلم، كالمجاهد في سبيل الله تعالى إن أخلصت له وصدقت في الطلب،

فوطنّ النفس على الجد والحزم.

إنّ من لوازم هذا الطريق الطويل أن تحمل الزاد،

وزادك في هذا الطريق وأنت متجه نحو التخصص والإبداع أن تصحب هذه الآية، قال الله تعالى في أمّ الكتاب التي لا تصح الصلاة إلاّ بها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾،

ثمّ أنت بحاجة إلى أعمال صالحة على رأسها برّ الوالدين (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)، فلعل دعوة صادقة من أحد والديك تهيك سعادة لا شقاء بعدها، ثمّ اجتهد في باقي ميادين الخير المباركة، وركّز على أبواب الخير المتعدية النفع كمعونة الآخرين.

فرصتك الذهبية لطلب العلم

هي فترة التعليم الجامعي، فهذه الفترة كالذهب، ولا أبالغ إن قلت لك إنّها أعلى من الذهب،

لكن الناظر يجد أنّ معظم طلبة العلم يرون أنّ فترة التعليم الجامعي هي فترة استراحة ونقاهاة وتسلية، ويرضون فيها بالدون من العلم والاجتهاد إلا قلة منهم، فتنتهي الأيام الجامعية مسرعة وتطوى سجلاتها، لتنتقل إلى مرحلة البناء والزواج والأبناء والأشغال... فتحاول أن تقرأ وأن تتدارك ما فات، فتدخل في اضطراب وضيق وازدحام للواجبات والأولويات، فلا تنال من العلم إلا الشيء القليل الذي يحقق لك الكفاية في موقع عملك، أو دون ذلك في بعض الأحيان.

يا طالب علم التفسير

أنت تتعامل مع أشرف العلوم على الإطلاق، فهذا العلم متعلق بالقرآن الكريم تعلقًا مباشرًا والقرآن الكريم هو كلام الله تعالى.

مع علمٍ شيخه رسول الله ﷺ،

مع علمٍ أول مجالسه كانت بين أمين السماء جبريل عليه السلام وأمين الأرض محمد ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ جبريل عليه السلام كان يلقي النبي ﷺ في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن.

مع علم أفنى العدول والأخيار جيلًا بعد جيل زهرة أعمارهم في سبيل تحصيله وتعليمه لينالوا بركة التعامل مع القرآن الكريم،

وحسبك كلمات الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) التي يصلح أن تكتب بمداد الذهب: "فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشرع، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه منّي"⁽⁵⁾.

لماذا هذه الكلمات؟

حتى ترفع الهمة إلى القمة، ولا تزهد في هذا العلم وتعطيه فضل وقتك، فالمطلوب منك بداية يا طالب علم التفسير أن تعلم أنّ نسبة القراءة المطلوبة منك في تخصصك 70% ولك مندوحة في 30% قراءة خارج حدود التخصص.

فلا يصلح أن تتخصص في علم التفسير، ثمّ تكون العناية به وبقراءة ما يكتب حوله من دراسات دون النسبة المذكورة.

ولا يصلح أيضاً أن يكون طالب علم التفسير منفصلاً عن الواقع الذي يعيش فيه، بعيداً عن هموم أمته وقضاياها المصيرية. لذا؛ لا بد أن تكون لديه وجبة من القراءات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة.

(5) . القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (2/1).

شراء الكتب

هذه إضاءة لك من البداية، بماذا تملأ مكتبتك الخاصة؟

تملأها بما يتعلق مباشرة بتخصصك وهدفك،

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: "قدم المهم فإنّ العاقل من قدر عمره وعمل بمقتضاه".

يقول أحد المشايخ الدارسين لعلم التفسير:

كنت كلما سمعت بكتاب جديد ذهبت إليه واشتريته، فذهبت مرة وأنا في بداية الطلب لعلم التفسير إلى مكتبة لأشتري منها كتاباً فاستهواني كتاب (صحيح ابن حبان)، فخطف قلبي فاشتريته لكي لم أفد منه مطلقاً إلا جمال منظره في مكتبي فهو لا يتعلق بتخصصي واهتمامي.

لذا؛ تابع ما يكتب من مؤلفات وأبحاث حول تخصصك الدقيق، وإياك أن يفوتك شيء منها، ولا تبتعد عنها كثيراً إلا في حدود النسبة المتفق عليها ولا تبخل بشرائها. يقول الجاحظ: "من لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ألد عنده من إنفاق عشاق القيان، والمستهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضياً، وليس ينتفع بإنفاقه حتى يؤثر اتخاذ الكتب إيثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله، وحتى يؤمّل في العلم ما يؤمّل الأعرابي في فرسه".

استمع لتجارب القراء المبدعين الثقات

إنّ مما يختصر عليك الوقت، ويوفر عليك الجهد والمال، ويعينك في سرعة تحصيل الفائدة في طريق الطلب أن تستمع لنصائح المبدعين من البداية.

اقرأ كلام الثقات في كيفية تنظيم الوقت والتخطيط، فهذا مما يعينك أيضاً على وضع خريطة واضحة المعالم وأنت تسير في الطريق، قيل: إذا لم يكن لديك هدف واضح تسعى إليه، استعملت لتحقيق أهداف الآخرين.

لماذا كلمة (الثقات)؟

استمع لتجارب الثقات!

اقرأ كلام الثقات في تنظيم الوقت!

لأنّ بحر التجارب واسع لا ساحل له،

ولأنّ المؤلفات في تنظيم الوقت ووضع الخطط وتحديد الأهداف كثيرة لا تنحصر، فإنّ دخلت إليها من غير توجيه مباشر كانت هي من أسباب التشتت وتضييع الوقت الذي نفر منه فرار الصحيح من المجذوم.

وهنا أقترح عليك أن تقرأ هذه الكتب الأربعة:

1. كتاب "الوقت في حياة المسلم" للمؤلف: يوسف القرضاوي.

يوضح المؤلف أهمية الوقت في حياة المسلم وأهمية العناية به، وبيان عناية الشريعة الإسلامية بالوقت، وبيان الحالة التي وصلت إليها الأمة نتيجة إهمال الوقت والرضى بالقعود والخمول.

2. كتاب "علم نفس النجاح" للمؤلف: برايان تريسي.

قد يكون اختيار هذا الكتاب غريبًا، لأنّ تأليف الكتاب غير مستمد من القرآن والسنة وكلام السلف، فكاتبه غربي، وهذا الاستغراب مطروح في مقدمة الكتاب، لكن الانتفاع بتجارب الآخرين أمر دعت إليه الشريعة، ف"الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها" وفي الكتاب رحلة شيقة بين الإخفاق والنجاح يفيد منها القارئ.

3. كتاب "إدارة الوقت" للمؤلف: إبراهيم الفقي.

هذا كتيب صغير الحجم يقرأ خلال ساعتين، فيه ملامح جيدة يُفاد منها في استثمار الوقت كله، وإدارته بما يرجع على صاحبه بالنفع والفائدة.

4. كتاب "رحلة مع النجاح" للمؤلف: طارق سويدان.

من يدعوك لقراءة هذا الكتاب الصغير الذي يقع في (60) صفحة تقريبًا، يدعوك لتبدأ السير في طريق النجاح والإبداع، بوضوح ومن غير تعقيد، فالكتاب يقرب لك معنى النجاح، ويستعين بالقرآن الكريم

وأحاديث الرسول ﷺ وأقوال الحكماء من العرب والغرب ليكشف لك عن أسرارهم.

ها نحن قد حددنا الهدف، وعرفنا قيمة الزمن، وعرفنا أهمية تنظيم الوقت، واتفقنا على الصبر والحزم، وبدأنا السير نحو التميز،

لا تحفظ هذه الكلمات؛ بل أخرج ورقة واكتب أهدافك ومشاريعك فيها لسنة أو لسنتين أو لثلاث... وكلما أنجزت جزءاً منها أثبت ذلك، وسر مع الأهداف مرتبة كما وضعتها، فإن قدر الله تعالى لك الحياة أنجزتها، وإن جاءك الأجل الذي لا يُقدم ولا يُؤخر ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فلك أجر النية، ونية المرء خير من عمله، يقول ابن الجوزي: "فإن العاقل من قدر عمره، وعمل بمقضته، وإن كان لا سبيل إلى العلم بمقدار العمر، غير أنه يبني على الأغلب، فإن وصل، فقد أعد لكل مرحلة زاداً، وإن مات قبل الوصول، فنيته تسلك به".

كيف أبدأ القراءة؟

قبل أن نشرع في الحديث عن الكتب التي نبدأ القراءة بها في تخصص التفسير، أضع بين يديك أمورًا مهمة:

- في بداية الطلب اجتهد أن تستثمر الوقت استثمارًا جيدًا، فلا تقبل أن يمضي عليك اليوم من غير 3-4 ساعات قراءة أو كتابة في التخصص، فهذا الإمام الطبري إمام مدرسة التفسير، نُقل عن همّته في طلب العلم الشيء العجيب. يذكر الإمام الذهبي في كتابه "تاريخ الإسلام" أنّ ابن جرير الطبري، قال لأصحابه: "هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة. قالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه. فقال: إنّ الله، ماتت الهمم. فأملاه في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ولما أراد أن يملي التفسير قال لهم كذلك، ثمّ أملاه بنحو من التاريخ"⁽⁶⁾. ويقدر الخطيب البغدادي في تاريخه: "أنّه سمع علي بن عبيد الله السمسي اللغوي يقول: إنّ الطبري واظب على الكتابة أربعين سنة، ويكتب في كل يوم أربعين ورقة، وبحسابها يظهر أنّ مجموع ما كتبه أزيد من خمسمائة وثمانين ألف ورقة"⁽⁷⁾. ما أعظمها من طاعة مع استحضر النية.

(6). الذهبي: تاريخ الإسلام (282/23).

(7). أبو غدة: قيمة الزمن عند العلماء (ص ٤٣).

- إنَّ مما يرفع همّتك عندما تبدأ القراءة أن تضع تاريخ البدء بالقراءة ثمَّ تاريخ النهاية، فهذه التواريخ لها طعم خاص بعد سنوات من الطلب.

- هناك كتب لا بدّ لك من قراءتها حتى وإنْ اختلفت مع كاتبها في العقيدة أو في غيرها، فمثلاً لا تلتفت لمن يحذر من كتاب الكشاف للزمخشري، نعلم أنّ الرجل من المعتزلة، وأنّه يدعو إلى بدعته، لكننا نعلم أيضاً أنّه فتح باباً في التفسير البياني للقرآن لم يُفتح مثله من قبل ولا من بعد، وأنّه لا غنى لطالب علم التفسير عن تفسيره. ولنا في ذلك أسوة في علماء التفسير من أهل السنة الذين أكبّوا على كشاف الزمخشري، وجعلوه أصلاً في تفاسيرهم، كالبيضاوي والنسفي وغيرهما. قال الزمخشري عن كشافه:

إنّ التفاسير في الدنيا بلا عدد : وليس فيها لعُمري مثل كشافني
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته : فالجهل كالداء والكشاف كالشافي
مكتبة التفسير مكتبة عظيمة فيها كتب وفيرة، منها: ما اندرست آثاره
ولم يبق منه شيء، ومنها تفاسير حاضرة بين أيدينا، وهي تفاسير ذات
اتجاهات مختلفة، ومناهج متباينة، فمنها تفاسير بالمأثور وأخرى
بالرأي، وتفاسير فقهية، ونحوية، وبيانية، وإشارية ومعاصرة، وغير
ذلك، فإذا أتيت إليها من غير خريطة بين يديك ستضل الطريق وتخرج
منها من غير فائدة ترجى.

بماذا نبدأ؟

المرحلة التمهيديّة

نبدأ في المرحلة التمهيديّة بالعناية بالتالي:

أولاً: العناية بالقرآن الكريم تجويداً وحفظاً، فلا يصلح لطالب التفسير أن ينطلق دون هذا الأصل الكبير، فأتقن قراءة القرآن الكريم، واحفظ منه ما استطعت وإن كان الحفظ كاملاً فهذا فتح عظيم وبركة لا تضاهيها بركة.

مع ملاحظة أنّ العناية بالتجويد والحفظ، وإن تحدثنا عنها في المرحلة التمهيديّة إلا أنها يمكن أن تكون ملازمة لتحصيل علم التفسير في كل مراحلها. لكن من المهم أن نبدأ بأساسيات التجويد والحفظ في المرحلة التمهيديّة.

الكتب في علم التجويد كثيرة لا تحصى، لكنّي اقترح في هذا الباب كتاب: (أحكام تجويد القرآن الكريم: لمحمد سعيد ملحس) برواية حفص عن عاصم. وهو كتاب رائع صغير الحجم سهل العبارة، كتب الله تعالى له انتشاراً واسعاً خصوصاً في بلادنا المباركة -فلسطين- فالكتاب ركيزة في التعليم المسجدي.

مع ملاحظة أن إتقان علم التجويد لا يقتصر على القراءة النظرية في هذا الفن؛ بل لا بد لطالب العلم أن يلتحق بدورة عملية في تجويد القرآن، ويمكن أن يصل في ذلك إلى مراحل متقدمة لاحقاً. ولن أحب أن يتوسع قليلاً في هذا الباب، في أثناء قراءته في كتب التفسير في المراحل المتقدمة، يمكن أن يقرأ:

- كتاب: أبحاث في علم التجويد: غانم قدوري الحمد.

عدد صفحات هذا الكتاب (200) صفحة، رائع جداً، فيه فرائد تميز فيها من باقي كتب التجويد المنتشرة، منها: تناول المؤلف مسألة بدء الكتابة في هذا العلم، والحديث عن أول مؤلف كتب فيه، وأيضاً تناول الحديث عن جهود اللغويين في دراسة الأصوات.

- كتاب: الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية: غانم قدوري الحمد.

كتاب صغير الحجم ملخص لكتاب آخر كبير الحجم للمؤلف ذاته، وهو: (شرح الكبير على المقدمة الجزرية)، الذي فيه خلاصة ما قاله شراح المقدمة وغيرهم من علماء التجويد المتقدمين، بالإضافة إلى أهم ما حققه الدرس الصوتي الحديث. فنظر المؤلف لكبر حجم الكتاب فلخصه ليكون في متناول يد جميع الراغبين في التوسع في دراسة علم التجويد.

ثانيًا: العناية بالأدب الذي ينبغي أن يتحلَّى به حامل القرآن.

المؤلفات في هذا الباب كثيرة، لكن نأخذ كتابًا صغيرًا سهلًا لكنه عمدة في هذا الباب ومن أصول التأليف فيه، كتاب (التبيان في آداب حملة القرآن) للنووي.

لا نبالغ عندما نقول: إنَّ كل من كتب في هذا الباب بعد النووي أفاد من تبيانه، ففيه كلام بديع في الحديث عن آداب حملة القرآن الكريم. لذا؛ لا بدَّ أن يكون ملازمًا للسائر في طريق القرآن، فلا خير في علم لا يصاحبه أدب.

قال الإمام مالك -رحمه الله-: كانت أمي تَعَمِّني، وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه⁽⁸⁾.

وقد أشرف الليث بن سعد على بعض أصحاب الحديث فرأى منهم شيئًا كرهه، فقال: ما هذا؟! أنتم إلى يسير من الأدب، أحوج منكم إلى كثير من العلم⁽⁹⁾!

ويقول مصطفى المنفلوطي: "مثل المتعلم غير المتأدِّب كمثل شجرة عارية لا تورق ولا تثمر، قد انتصبت للناس في ملتقى الطرق تعترض

(8) . ابن عبد البر: التمهيد (4/3).

(9) . الخطيب البغدادي: شرف أصحاب الحديث (ص122).

الرائح وتصدّ سبيل الغادي، فلا الناس بظلمها يستظلون، ولا هم من شرها ناجون"⁽¹⁰⁾.

ثالثاً: التعريف بالمصحف، وأقترح في هذا الباب كتاباً قيماً فيه فوائد وفرائد، هو: المدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف: حازم حيدر.

ينطلق من التعريف بالقرآن الكريم وفضائله ويمضي لينقلنا إلى الحديث عن الجهود الكبرى التي بذلت في خدمة القرآن الكريم من زمن التنزيل إلى يومنا هذا.

رابعاً: القراءة في فضائل القرآن، وأقترح في هذا المجال كتاب: الصحيح المسند من فضائل القرآن وسوره وآياته مع شيء من فقه الأحاديث ومعانيها: فاروق حمادة.

كتاب صغير الحجم لكنه كتاب قيم، حوى ما صح في فضائل السور أو الآيات.

(10) . المنفلوطي: النظرات (2/ 345).

المرحلة الأولى في طلب علم التفسير

في هذه المرحلة نقرأ كتابًا في علوم القرآن الكريم، وآخر في مناهج المفسرين، ونقترح تفاسير ميسرة تناسب مع هذه المرحلة:

أولاً: نبدأ القراءة في كتاب وجيز في علوم القرآن الكريم، ومن أفضل الكتب في هذا الباب، والتي تناسب مع هذه المرحلة، كتاب (مباحث في علوم القرآن): مناع القطان.

لكن أحيلك على كتاب أصغر منه حجمًا، يعدّ تلخيصًا لأفكاره مع حذف الاستطرادات (الوجيز في علوم الكتاب العزيز): مشعل الحدادي.

ثانيًا: انتقل إلى القراءة في الكتاب الممتع (التفسير والمفسرون) للذهبي.

إنّ مسألة القراءة في تاريخ العلم مسألة مهمّة لا بدّ لطالبيه أن يتعرف عليها، وهذا الكتاب من أعظم الكتب التي ألّفت في بيان تاريخ علم التفسير ومناهج المفسرين، وحسبه أنّ له السبق في هذا الباب. هذا الكتاب المبارك للإمام الشهيد محمد حسين الذهبي، قدم فيه خدمة جليلة للمكتبة التفسيرية، فلا يستطيع الدارس للتفسير أن يمر على علم التفسير دون أن يقرأ هذا الكتاب.

فليتك أيّها الطالب المبارك تقرأ هذا الكتاب أكثر من مرة وتتأمل في كلماته، فقد اختصر لك في صفحاته المعدودات تاريخ علم التفسير،

فصاحب الكتاب يأخذ بيدك لتتعرف على التفسير في عهد الرسول ﷺ، وذكر أشهر المفسرين من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ثم تحدث عن التفسير في عهد التابعين ... ثم يعرفك بمناهج عدد كبير من المفسرين كابن جرير وابن كثير والرازي والبيضاوي والنسفي وغيرهم حتى من الشيعة والخوارج ... يا لروعته وهو يتحدث عن نشأة التفسير الفقهي لآيات الأحكام عند المذاهب الفقهية، ويتحدث عن التفسير العلمي للقرآن الكريم، فالكتاب مليء بالفوائد والفرائد.

هذا الكتاب له مختصر، وهو (مختصر مناهج المفسرين) محمد أبو زيد، لكّني أنصح بقراءة الأصل.

وحتى تكتمل لديك الصورة، ولأنك صاحب همّة عالية، أنصحك بقراءة كتاب (التفسير والمفسرون) للدكتور فضل حسن عباس، ففيه خير كثير، خاصة وأنه يركّز فيه على التفاسير المعاصرة.

وأحيلك أيضًا من باب التنويع في التحصيل العلي، على مشاهدة البرنامج الرائع (أهل التفسير: للدكتور عبد الرحمن الشهري).

ثالثًا: نقرأ كتابًا مختصرًا في التفسير

الهدف من دعوتك لقراءة الكتاب المختصر في التفسير، التالي:

- أن تفهم المعنى الإجمالي للآية القرآنية.
- أن تزيل الستار عن غريب القرآن.

● أن تصبح لديك قاعدة في التفسير تبني عليها.

نُقل عن بعض المشايخ إحالة الطلاب إلى كتاب تفسير الجلالين لأنه في مجلد واحد ظانين أنه لصغر حجمه يصلح في بداية الطلب. لكنّ القارئ المتأمل لتفسير الجلالين يعلم يقيناً أنه لا يصلح في بداية الطلب، وأنّ متنه متين بحاجة إلى مدارس وتعليم وتحليل. وأنه يصلح في المرحلة المتوسطة. لذا؛ أقترح عليك في البداية أن تقرأ في كتاب: (مختصر التفسير) لمركز تفسير للدراسات القرآنية، وهو كتاب جديد جيد عملت فيه عقول كثيرة وفيه خير وفير.

وأضف إليه كتاب:

(السراج في غريب القرآن: لمحمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري). كتب غريب القرآن كثيرة، لكن اختيار كتاب الخضيري دون غيره لأنه جمع كتابه من كتب التفسير، وكتب الغريب القديمة والمعاصرة، وصاغ المؤلف الأقوال المختلفة في عبارة واحدة جامعة سهلة ما أمكنه ذلك.

وبالإمكان القراءة في كتاب: (صفوة التفاسير) للصابوني، وهو كتاب شامل، جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق التفاسير المعروفة كالطبري، والكشاف، وابن كثير، والبحر المحيط، وروح المعاني، في أسلوب ميسر سهل التناول، مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية.

أما (المفردات) للأصفهاني فيؤخذ في المراحل المتقدمة من الطلب.

هل يصلح كتاب (الوجيز) للواحد في بداية الطلب؟

الواحد -رحمه الله- ألف كتابًا كبيرًا في التفسير أسماه "البيسط"، فقليل له: اكتب كتابًا مختصرًا في التفسير، فألف كتابًا أسماه "الوجيز" فإذا بوجيز الواحد لم يقف مع آيات الكتاب الكريم كاملة، فالمتبع له يجد أنه ترك خلفه آيات وألفاظ غريبة لم يفسرها مع الخير العظيم الذي فيه، فقليل له: اكتب كتابًا وسطًا في التفسير فألف كتابه "الوسيط".

قبل أن ننتقل للمرحلة التالية، وحتى لا تفتقر الهمة اقرأ هذه الأبيات للإمام الزمخشري:

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلْدُّ لِي

مِنْ وَصَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقِ

وَصَرِيرِ أَقْلَامِي عَلَى صَفْحَاتِهَا

أَحْلَى مِنْ الدَّوْكَاءِ وَالْعُشَّاقِ

وَأَلْدُّ مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِدَقِّهَا

نَقْرِي لِأُلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْرَاقِي

وَتَمَائِي طَرَبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ

فِي الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ

وَأَبَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبَيْتُهُ

نَوْمًا وَتَبَغِي بَعْدَ ذَلِكَ لِحَاقِي

المرحلة الثانية في طلب علم التفسير (الوسطى)

قبل أن نتوسع في القراءة في كتب التفسير ننظر في كتب أصول التفسير وقواعده حتى تصبح لدينا رؤية أوسع عن هذا العلم المبارك.

أولاً- القراءة في أصول التفسير:

أول ما يقرأ فيها كتاب (مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية) تناول فيه الحديث عن عناية الصحابة والتابعين بمعاني القرآن الكريم، وبين أنّ اختلاف السلف في التفسير اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وتناول الحديث عن التفسير بالمأثور، وأشار لأقرب التفاسير إلى الكتاب والسنة، وختم بالحديث عن القراءات السبع.

ولهذه المقدمة شرح جيد معاصر أنصح به لمساعد الطيار (شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية) إذا قرأت هذا الشرح لا يلزم أن تقرأ المقدمة فهي مذكورة فيه.

ولمساعد الطيار كتاب آخر: "التحرير في أصول التفسير" كتاب رائع ماتع.

ثمّ تقرأ كتاب: (أصول التفسير ومناهجه) لفهد الرومي.

ثانياً- القراءة في قواعد التفسير:

وأقترح هنا كتاب: (قواعد التفسير جمعاً ودراسة) لعثمان السبت.

جمع المؤلف في هذا الكتاب كل قواعد التفسير من كتب التفسير وعلوم القرآن وأصول الفقه وغيرها، التي بلغت في العدد (250) كتابًا بين مطول وقصير، فهو كتاب واسع في هذا الباب.

ملحوظة: لأصحاب الهمة العالية -وأنت منهم- اقرأ في كتاب: (القواعد الحسان لتفسير القرآن: لعبد الرحمن السعدي) يعرض لك (70) قاعدة مع تطبيقاتها، ولا أبالغ إن همست لك في أذنك أن هذا الكتاب المذكور يمثل كتاب السعدي في التفسير "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان".

ثالثًا- كتب في كيفية التعامل مع القرآن:

وأشير هنا إلى كتب مهمة اعتنى أصحابها بمعالجة موضوع كيفية التعامل مع القرآن حفظًا وتلاوة واستماعًا وفهمًا وتفسيرًا، إضافة إلى بيان خصائص القرآن العظيم ومقاصده ومعالم منهجه التفسيري، والكشف عن المزالق والمخادير التي تؤدي إلى سوء الفهم أحيانًا. وأنصح هنا بقراءة ثلاثة كتب ماثلة:

- كيف نتعامل مع القرآن/ محمد الغزالي.
- كيف نتعامل مع القرآن/ يوسف القرضاوي.
- مفاتيح التعامل مع القرآن/ صلاح الخالدي.

رابعاً- كتب التفسير المقترحة في هذه المرحلة:

أما كتب التفسير التي تقرأ في هذه المرحلة فكثيرة، نختار منها:

- تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير الدمشقي.

وهو من الكتب الأساسية في التفسير، ويصلح في مرحلة الطلب المتوسطة، تميز تفسير ابن كثير من كتب التفسير التي سبقته ببراعته التي لم يسبق إليها في تفسير القرآن بالقرآن. أضف إلى ذلك عنايته بتفسير القرآن بالسنة، وكلام السلف في التفسير، وعدم الاستطراد الكثير في الإسرائيليات.

مع الملاحظة أنّ ابن كثير ساق الأحاديث بالسند، والكثير من المختصرات التي ألفت في تفسير ابن كثير كان من أبرز أعمالها اختصار الأسانيد.

- تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل": عبد الله بن

عمر البيضاوي

هذا التفسير مختصر من ثلاثة كتب جامعة من كتب التفسير: الكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي، وتفسير الراغب الأصفهاني.

هذا التفسير الرائع من أشهر كتب التفسير عند طلاب العلم، فقد طاف مشارق الأرض ومغاربها، وكثرت عليه الحواشي حتى قيل: إنَّها تجاوزت ثلاث مئة حاشية.

والقارئ للتفسير يجد فيه ما يجده في الكتب التي اختصرها في هذا الكتاب من: براعة ظاهرة في البلاغة، وأسباب النزول، والربط بين الآيات والسور "المناسبات". مع التعليق على الآيات التي حوت مسائل فقهية... وغير ذلك.

فالذي يقرأ فيه يصبح لديه نظرة عن كتب التفسير التي أخذ عنها.

- زاد المسير: لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.

كان -رحمه الله تعالى- مكثراً من التصنيف، قال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ بعد أن ذكر مؤلفات كثيرة لابن الجوزي: "وما علمت أحدًا من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرجل"، وذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة "أنّ الإمام ابن تيمية، قال: كان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف".

ولعل من أبرز ما أعانه على التصنيف والتأليف أمرين اثنين:

الإخلاص: يظهر إخلاص ابن الجوزي كثيرًا في كتاباته، ومنها كلامه لطلاب العلم: "ورأيت أقوامًا من المنتسبين إلى العلم، أهملوا نظر الحق

-عز وجل- إلهم في الخلوات، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلب يحن إلى لقاءهم. فالله في مراقبة الحق عز وجل؛ فإن ميزان عدله تبين فيه الذرة، وجزاؤه مراصد للمخطئ، ولو بعد حين...".

وقوله: "لقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم علي يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سألت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل، ويحق لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام. وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزلي. ولقد جلست يوماً، فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسي: كيف بك إن نجوا وهلكت؟! فصحت بلسان وجدي: إلهي وسيدي! إن قضيت علي بالعذاب غداً، فلا تعلمهم بعذابي، صيانة لكرمك، لا لأجلي، لئلا يقولوا: عدب من دل عليه".

استثمار الوقت: انظر في كتابه (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد)، وقرأ فيه فصل حفظ الأوقات واغتنام اللحظات.

الذي ينظر في مؤلفات ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- مع كثرتها يجد أن بعضها ظهر فيه الوهم والخطأ، ولعل السر في ذلك عدم قدرته على مراجعتها وتدقيقها لكثرتها، غير أن كتابه في التفسير حرره ودققه وأبدع فيه لأنه أراد أن يكون مرجعاً في التفسير عند الحنابلة، فجمع الأقوال ورتبها ونسبها إلى من قالها وأبدع وتميز في ذلك.

وبين في مقدمة تفسيره أنه أراد أن يؤلف كتابًا وسطًا في التفسير يفيد منه من يأتي بعده، فقال: "وبعد لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهم، لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطويًا على العلم الغزير، ووسمته بـ (زاد المسير في علم التفسير). وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد -وفقك الله- في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما زال جائدًا بتوفيقه"⁽¹¹⁾.

من التفاسير التي تشبه في أسلوبها تفسير ابن الجوزي تفسير الماوردي "النكت والعيون" غير أن كتاب ابن الجوزي أجود، والله أعلم.

(11). ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير. (11/1).

ومن التفاسير المعاصرة التي يمكن أن تقرأ في هذه المرحلة:

- تفسير في ظلال القرآن: سيد قطب.

تفسير قرآني رائع مميز يصل إلى القلب مباشرة، فلكاتبه مهارة عجيبة في إيصال الأفكار، مشتهر جدًا بين طالبي علم التفسير وعلمائه، ومن غير المبالغ فيه إن قيل: إنه من كتب التفسير التي تترجع على العرش من بين التفاسير المعاصرة.

قبل أن ننتقل للمرحلة التي تلي هذه المرحلة من القراءة في كتب التفسير، أعرض بعض الملحوظات:

- لا تنس أن تقرأ كتاب في هذه المرحلة كتاب: (التفسير النبوي) لخالد عبد العزيز، الذي جمع فيه كل الروايات المنقولة المرفوعة للنبي ﷺ في التفسير التي بلغت (318) رواية.
- هناك تفاسير أخرى تُقرأ في هذه المرحلة، تستطيع القراءة منها إن شئت، فلست ملزمًا بما سبق ذكره من كتب مقترحة، فالأمر بين يديك والأمر واسع فلا تتردد في التبديل، منها: مختصرات تفسير ابن كثير، تفسير الوسيط للواحدي، التسهيل في علوم التنزيل للشهيد ابن جُزي، وتفسير السعدي.. وغيرها.
- أنصح للسائر في طريق الطلب أن يحاول جاهدًا أن يعتمد في هذه المرحلة تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وأن يجعله أصلًا

له معتمدًا، وإن كانت همّته عالية يضيف إليه تفسير البيضاوي.

- نتعلم من فعل البيضاوي في تفسيره أمرًا مهمًا انتفع به السابقون، وهو "اختصار كتاب من كتب التفسير" بأن يختار الطالب أحد كتب التفسير من كتب المرحلة المتوسطة ويلخصه بيده لنفسه. قيل: إنّ السعدي -رحمه الله- عندما كتب كتابه في التفسير كتبه لنفسه، ولم يكتبه لينشر لكنّ الله تعالى وضع له القبول فانتشر انتشارًا واسعًا حتى قيل بلغت النسخ المطبوعة منه "15" مليون نسخة.

المرحلة الثالثة الأخيرة في طلب علم التفسير

في هذه المرحلة نتوسع في القراءة في التفسير، وما يحيط به من علوم. هذه المرحلة تحتاج إلى همّة عالية، فهذه المرحلة تمثل درة التاج، والكتب المقترحة فيها كثيرة، نبدأ بكتب التفسير المقترحة في هذه المرحلة:

- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي.

كتاب جامع كاسمه مائع بما يحوي، جمع فيه القرطبي بين كتب التفسير وكتب أحكام القرآن التي سبقتة، حرص فيه المؤلف على بيان الأحكام الفقهية بالتفصيل.

- المحرر الوجيز: عبد الحق بن غالب بن عطية.

كتبه القاضي المجاهد ابن عطية وهو في بداية حياته واستفرغ قوته العلمية فيه، فلا يعرف لابن عطية كتاب غير التفسير إلا "الفهرس" الذي عرض فيه شيوخه.

- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور.

مكث ابن عاشور في تأليفه (40) سنة، كتاب تفسير متين متوازن في أسلوبه، واحة غناء بالعلم والمعرفة، فيه إبداع في الدخول إلى تفسير السورة، وله عناية ظاهرة بالبلاغة، وتحرير المعاني، والعناية

بالمناسبات وغير ذلك، ولا نبالغ إن قلنا إنّ تفسير ابن عاشور أنفس التفسير المعاصرة.

أنصح لك أيها المبارك إن لم تقرر قراءة كتاب ابن عاشور كاملاً أن تقرأ مقدماته التي هي مدخل لتفسيره (130) صفحة، وأهم هذه المقدمات التي تظهر براعة ابن عاشور وسعة علمه واطلاعه المقدمة العاشرة التي تحدث فيها عن مبتكرات القرآن الكريم - التراكيب والمعاني التي جاءت في القرآن ولم ترد في لغة العرب قبله-، وتفسير سورة البقرة والمفصل منه.

وإن لم تجعل في المرحلة المتوسطة تفسير القرآن العظيم أصلاً، فاجعل كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، فهو موسوعة علمية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

ما معنى أن تجعل أحد كتب التفسير هو الأصل؟

أن تقرأ التفسير كاملاً أكثر من مرة، ثمّ تقرأ غيره من التفسير، وما تجده من فوائد تضيفه إلى التفسير الذي جعلته أصلاً وتدونه بخط يدك في مكانه، وهكذا تعرض كتاب التفسير الذي جعلته أصلاً على معظم كتب التفسير لترى فتحاً عظيماً عليك بعد ذلك في هذا العلم المبارك.

في هذه المرحلة يحسن بك يا طالب التفسير وأنت على مشارف نهاية الطريق أن تقرأ في التالي:

- أن تقرأ الحد الأدنى من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري تفسير سورة البقرة، وتفسير المفصل من السور.

فلا يصلح أن ينتهي طالب علم التفسير من الطلب من غير أن يطلع على هذا السفر العظيم المبارك، فهو الكتاب الأول في تفسير القرآن الكريم كاملاً في الزمن والمكانة، يقول النّوّي: "أجمعت الأمة أنه لم يصنف مثل الطبري" فهو موسوعة علمية، ودائرة معارف كبرى تشعر وأنت تقف أمامه أنك أمام جامعة كاملة في علم التفسير وما يتعلق به من علوم، فلا تتخطى هذه النصيحة وخذ بها يا صاحب الهمة العالية.

من الكتب التي لا بدّ أن تقرأ فيها وتتطلع عليها:

- كتاب في معاني القرآن، مثل: (معاني القرآن) للفراء.
- كتاب في إعراب القرآن، مثل: (إعراب القرآن) للنّحاس، وهو أول كتاب ألف في هذا الباب، ومنها أيضاً (التبيان في إعراب القرآن) للعكبري، ولكنني أنصح لك أن تقرأ (المجتبي من مشكل إعراب القرآن) لأحمد بن محمد الخراط، فهو كتاب معاصر سهل العبارة.

- كتاب في أسباب النزول: والكتب في هذا الباب كثيرة، لكنني أنصح بكتاب معاصر رائع وهو: (المحرر في أسباب النزول) للمزيني، اقتصر فيه المؤلف على أسباب النزول الواردة في الكتب التسعة.
- كتاب في أحكام القرآن، مثل: كتاب (أحكام القرآن) لابن العربي المالكي أو غيره.
- كتاب في توجيه القراءات، مثل: (حجية القراءات) لابن زنجلة، أو (طلائع البشر في توجيه القراءات العشر) لمحمد صادق قمحاوي.
- كتاب في علوم القرآن، مثل: (البرهان في علوم القرآن) للزركشي، أو (إتقان البرهان) لفضل عباس، أو (المحرر في علوم القرآن) لمساعد الطيار، وأنصح لك هنا بقراءة (إتقان البرهان، والمحرر في علوم القرآن).
- كتاب في التفسير الموضوعي، مثل: (التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق) لصلاح عبد الفتاح الخالدي.
- كتاب في الدراسات المعاصرة حول جهود المستشرقين والحدائين في الطعن بالقرآن الكريم، وتشويه التفسير القرآني، مثل: (قضايا قرآنية في الموسوعة القرآنية) لفضل

عباس، و(التأويل الحدائي للتراث "التقنيات والاستمدادات")
لإبراهيم السكران.

● إنّ من المهام -أيضًا- التي نختم بها الحديث عن هذه المرحلة
الكبيرة من مراحل الطلب لهذا العلم المبارك العناية بالأدب
والشعر، فأهل التفسير كانت لهم عناية ظاهرة بذلك. فلا
تعرض عن قراءة الشعر وكتب الأدب فهي أصل من أصول هذا
العلم المبارك. انظر في كتاب تفسير الطبري تجد فيه أكثر من
ألفي شاهد شعري.

ينصح هنا أن تبدأ بقراءة الأشعار الموجودة في كتب التفاسير، فكثير
من المفسرين أوردوا أشعارًا في تفاسيرهم، ومنهم من له دواوين شعرية،
كالإمام الزمخشري صاحب الكشاف، فله ديوان شعري، (ديوان جار
الله الزمخشري) تحقيق: عبد الستار محمد.

ومن أشعاره الرائعة:

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل الهيم الأليل

ويرى عروق نياطها في نحرها، والمخ في تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب من فرطاته، ما كان منه في الزمان الأول

ومنها ما قاله أبو حيان:

عِدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ، فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا

هُمْ بَحَثُوا عَن زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا، وَهُمْ نَافَسُونِي فَكَتَسَبَتِ الْمَعَالِيَا

وهذا ابن جُزي قتل شهيداً -رحمه الله- وهو يشحذ همم الناس، ويحرّضهم ويثبّتهم وكان هذا هو آخر العهد به، لقد حفظ لنا صاحب "نيل الابتهاج" نصّاً تاريخياً مهمّاً يتعلق باستشهاد ابن جزي نقله عن فهرسة الحضرمي أحد تلاميذ ابن جزي جاء فيه: قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر بن ذي الوزارتين ابن الحكيم: أنشدني يوم الواقعة:

قصدي مؤمل في جهري وإسراري ... ومطلبي من إلهي الواحد الباري

شهادة في سبيل الله خالصة ... تمحو ذنوبي وتنجيني من النار

إن المعاصي رجس لا يطهرها ... إلا الصّوارم في أيّمان كفّار

ثم قال: (في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات، وهكذا صدق الله ابن جزي، فصدقه وانتقل إلى جوار ربه بموكب الشهداء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأكرمهم وآواهم، وفي هذه المعركة استشهد العديد من علماء الأندلس وأعيانهم، كما استشهد العديد من علماء المغرب وأعيانه).

وأصح بقراءة كتاب: (مختارات من أدب العرب) لأبي الحسن الندوي.

وأعرض قولاً جميلاً للجاحظ: "سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكتاب: لابن قتيبة، وكتاب الكامل: للمبرد، وكتاب البيان والتبين: للجاحظ، وكتاب النوادر: لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها"⁽¹²⁾.

ملحوظات عامة يا طالب العلم:

- يجب عليك قراءة الكتاب المختار في كل مرحلة قراءة كاملة، ولا أقول يستحب، بل يجب تكرار القراءة بأن لا تكتفي أيها المبارك بقراءة الكتاب مرة واحدة، وهذا يحتاج إلى الجدّ والحزم وزاد الصبر، ذكر السبكي في طبقاته عن الربيع المزني تلميذ الشافعي قال: أنا أنظر في كتاب الرسالة منذ خمسين سنة، ما أعلم أنني نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد شيئاً لم أكن عرفته.
- الهدف الرئيس في المرحلة الأولى من مراحل طلب علم التفسير فهم المعنى الإجمالي للآية ومعرفة الغريب فقط، فلا تتعب نفسك بأكثر من ذلك، وحسبك من الخير إتقان ذلك.
- اجعل بين يديك ما تقيد عليه الفوائد والفتوحات التي تفتح عليك في أثناء القراءة:
- العلم صيد والكتابة قيده ... قيّد صيودك بالحبال الوثيقة
- في مرحلة الطلب الثالثة، من المهم مراعاة الأمور التالية:

(12). الرافعي: وحي القلم (3/311).

- معرفة وفيات المفسرين، ويمكن الاستعانة هنا بمرجع كبير: (الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم) عمل علمي موسوعي يتضمن مختلف التفاسير، في مختلف الأعصار والأمصار، منذ بدأ التأليف في التفسير إلى اليوم، رتب فيه ما قاله المفسرون في أي آية، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ترتيبًا تاريخيًا، حسب وفيات المفسرين.
- التعرف على مناهجهم بقراءتها في مقدماتهم أو قراءة مؤلفات أو أبحاث كتبت حول ذلك.
- الرجوع إلى موارد التفسير الذي جعلته أصلًا لترى هل كان المفسر المعتمد ناقلًا متقنًا أو وهم في بعض المواضع.
- ضبط الفن الذي اختاره المفسر، فمثلًا التفسير الذي جعلته أصلًا هل جعلته لتبدع في فن أحكام القرآن، أم اخترته لتبدع في البلاغة، وهكذا اضبط الفن وتوسع فيه حتى لا تفقد البوصلة.
- لا أنسى أن أضع بين يديك مجموعة من المؤلفين أنصحك إن كانت لديك سعة من وقت أن تقرأ لهم كل الدراسات القرآنية التي ألفوها:
- عبد الحميد الفراهي.
- محمد عبد الله دراز.

- فضل حسن عباس.
 - غانم قدوري الحمد.
 - عبد الهادي حميتو.
 - مساعد الطيار.
 - صلاح الخالدي.
 - أحمد نوفل.
- أنصح لك بنقل كل الكتب التي وردت أسماؤها في هذه الورقات المعدودات على ورقة خارجية تعلقها أمامك، فهذه مراجع لا غنى لك عنها أيها المبارك، وقد جمعتها لك في آخر الدراسة من باب التسهيل.
 - مع أهمية القراءة في الكتب وفوائدها الجمة، احرص أيها المبارك على اللقاء والسماع من المتخصصين في علم التفسير والإفادة منهم على اختلاف مناهجهم واتجاهاتهم.

المرحلة البحثية

مرحلة واسعة جدًا، يمارس فيها (المفسر) الدور المنشود منه، فهذه مرحلة الإبداع والتميز والعطاء.

والسائر في طريق الطلب لا بدّ أن يقتحم العقبة، وأن يدخل إلى هذا الميدان العظيم بالبحث والتحري والتدقيق والتحقيق بعزيمة قوية وهمة عالية، ونية صادقة فمن عظيم الصدقات الجارية (علم ينتفع به).

فلا تحصر النية فقط عند كتابة الأبحاث والرسائل والأطاريح والأوراق العلمية والعمل في هذا المجال في البحث عن الشهرة أو الترقى في المنصب الوظيفي.

فلندرك أن البحث العلمي هو الأداة التي تتطور بها المجتمعات، وتلبّي بها حاجات النَّاس، وتساعد على حل الإشكالات العالقة، وهي الوسيلة التي يرتقي بها الأفراد، وأي فكرة لا تسقى بماء البحث العلمي لا تنمو، ولا يفاد منها، وتبقى قابعة في مكانها.

هذا البحث سواء أكان في التفسير أم في غيره من العلوم يقوم على أساس الملاحظة الدقيقة، وجمع البيانات، وتحليلها بالطرق المناسبة، وتعتمد عملية البحث على المقارنات، ودراسة الأسباب والمسببات، والتعرف على أساليب العلاج.

لن أفصّل لك كثيراً في الحديث عن البحث العلمي وطريقة الكتابة فيه، لكنني أحيلك على كتاب رائع في هذا الباب صغير الحجم، وسهل العبارة، وهو مميز في طريقة العرض، له أهمية خاصة عن غيره من المكتوب في هذا الباب لأنه تحدث عن ميدان البحث في العلم الشرعي على وجه الخصوص.

كتاب: (البحث العلمي وتطبيقاته في العلوم الشرعية والإنسانية) طبعة مختصرة: ناصر الدين محمد الشاعر.

هذا الكتاب قدّم عرضاً مفصلاً للبحث العلمي: تعريفه، وبيان قواعده ومناهجه وأدواته، وخطواته الإجرائية، وقد بيّن فيه المؤلف كيفية الاستفادة من الإصدارات الحديثة في هذا المجال.

فهرس الكتب المدرجة في الدراسة

هذا الفهرس فيه الكتب التي ورد الحديث عنها بإسهاب أو بإيجاز خلال الدراسة، حتى يسهل على السالك لطريق الطلب أن ينظر فيها، قسمتها بحسب ما وردت في المتن، وهي على النحو التالي:

البداية

هذه الكتب تعينك على تنظيم الوقت، ووضع الخطط، وتحديد الأهداف، وتشحن همتك

الرقم	الكتاب	المؤلف
1	أليس الصبح بقريب	ابن عاشور
2	قيمة الزمن عند العلماء	عبد الفتاح أبو غدة
3	صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل	عبد الفتاح أبو غدة
4	الوقت في حياة المسلم	يوسف القرضاوي
5	علم نفس النجاح	برايان تريسي
6	إدارة الوقت	إبراهيم الفقي
7	رحلة مع النجاح	طارق سويدان

المرحلة التمهيديّة

هذه الكتب تقرأ في المرحلة التمهيديّة من مراحل طلب التفسير

المؤلف	الكتاب	الرقم
محمد سعيد ملحس	أحكام تجويد القرآن برواية حفص عن عاصم	1
غانم قدوري الحمد	أبحاث في علم التجويد	2
غانم قدوري الحمد	الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية	3
النووي	التبيان في آداب حملة القرآن	4
حازم حيدر	المدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف	5
فاروق حمادة	الصحيح المسند من فضائل القرآن وسوره وآياته مع شيء من فقه الأحاديث ومعانيها	6

المرحلة الأولى في الطلب

هذه الكتب تقرأ في المرحلة الأولى من طلب علم التفسير

المؤلف	الكتاب	الرقم
مناع القطان	مباحث في علوم القرآن	1
مشعل الحدادي	الوجيز في علوم الكتاب العزيز	2
محمد حسين الذهبي	التفسير والمفسرون	3
محمد أبو زيد	مختصر مناهج المفسرين	4
فضل حسن عباس	التفسير والمفسرون	5
مركز تفسير للدراستات القرآنية	مختصر التفسير	6
محمد عبد العزيز الخضيري	السراج في غريب القرآن	7
محمد علي الصابوني	صفوة التفاسير	8

المرحلة الثانية في طلب علم التفسير (الوسطى)

هذه الكتب تقرأ في المرحلة الوسطى من مراحل طلب علم التفسير

المؤلف	الكتاب	الرقم
ابن تيمية	مقدمة في أصول التفسير	1
مساعدا الطيار	شرح مقدمة في أصول التفسير	2
مساعدا الطيار	التحرير في أصول التفسير	3
فهد الرومي	أصول التفسير ومناهجه	4
عثمان السبت	قواعد التفسير جمعاً وقراءة	5
عبد الرحمن السعدي	القواعد الحسان لتفسير القرآن	6
محمد الغزالي	كيف نتعامل مع القرآن	7
يوسف القرضاوي	كيف نتعامل مع القرآن	8
صلاح الخالدي	مفاتيح التعامل مع القرآن	9
ابن كثير	تفسير القرآن العظيم	10
عبد الله بن عمر البيضاوي	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	11

ابن الجوزي	زاد المسير	12
سيد قطب	في ظلال القرآن	13
خالد عبد العزيز	التفسير النبوي	14
الواحي	الوسيط	15
ابن جزي	التسهيل في علوم التفسير	16
السعدي	تفسير الكريم المنان	17

المرحلة الثالثة الأخيرة في طلب علم التفسير

هذه الكتب تقرأ في المرحلة الأخيرة من مراحل طلب التفسير

الرقم	الكتاب	المؤلف
1	الجامع لأحكام القرآن	محمد القرطبي
2	المحرر الوجيز	لابن عطية
3	التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور
4	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	محمد بن جرير الطبري
5	معاني القرآن	الفراء
6	إعراب القرآن	النحاس
7	التبيان في إعراب القرآن	العكبري
8	المحرر من مشكل إعراب القرآن	أحمد الخراط
8	المحرر في أسباب النزول	المزيني
9	أحكام القرآن	لابن العربي المالكي
10	حجية القراءات	ابن زنجلة
11	طلائع البشر في توجيه القراءات العشر	محمد صادق قمحاوي
12	البرهان في علوم القرآن	الزركشي
13	إتقان البرهان	فضل عباس
14	المحرر في علوم القرآن	مساعد طيار
15	التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق	صلاح الخالدي

16	قضايا قرآنية في الموسوعة القرآنية	فضل عباس
17	التأويل الحداثي للتراث "التقنيات والامتدادات"	إبراهيم السكران
18	ديوان جار الله الزمخشري	عبد الستار محمد
19	مختارات من أدب العرب	أبو الحسن الندوي
20	أدب الكتاب	ابن قتيبة
21	الكامل	المبرد
22	التبيان والتبيين	الجاحظ
23	النوادر	لأبي علي القالي
24	الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم	---

إلى هنا أنتهي.

أوصي نفسي وأوصيكم بتقوى الله تعالى في السرّ والعلن، والعلم والعمل بجد وإخلاص، والدعاء لي ولوالدي، ولمشايخي ولأهلي ولأبنائي.

والحمد لله ربّ العالمين.

خارطة الطريق في طلب علم التفسير

يعد علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها، فهو مفتاح فهم القرآن الكريم واستنباط معانيه العميقة وكنوزه المخفية. ومن أجل السير في هذا الطريق المبارك، يحتاج طالب العلم إلى منهج واضح وخطّة مدروسة تمكنه من التدرّج في طلب هذا العلم الجليل وصولاً إلى مرحلة الفهم العميق والتفسير الصحيح لكلام الله تعالى.

في هذا الكتاب، يقدم الباحث الدكتور زهران زهران خارطة طريق متكاملة تساعد الطلاب والباحثين في مجال التفسير على تحديد مسارهم العلمي بدقة، من خلال استعراض أهم المراحل التي ينبغي أن يمروا بها، والكتب التي تعدّ محطات أساسية في رحلتهم العلمية، مع تقديم إرشادات حول كيفية قراءتها وفهمها.

يتميز هذا الكتاب بمنهجية الواضحة التي تربط بين النقل والعقل، مما يجعله دليلاً قيماً لكل من يطمح إلى أن يكون من أهل التفسير. كما يتضمن إضافات معرفية ثرية تعين القارئ على تطوير أدواته العلمية، وفهم أسس صناعة المفسر، والتدرّج السليم في تحصيل هذا العلم الشريف.

إنه دعوة للجد والاجتهاد، وحافز لكل من عقد العزم على التعمق في تفسير كتاب الله، ليستنير بنوره وينقل هدايته للناس، وفق منهج علمي رصين يجمع بين الأصالة والتجديد.

